عالَم الحِساب

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها)

من الصفحة ٣١٥ حتى الصفحة ٣٢١

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة

وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام

من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام

- المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

عـالم الحسـاب

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾.

فإياب العباد كلِّهم ـ أي: رجوعُهم ـ إلى ربهم، ثم إن حسابهم عليه سبحانه، فهو الذي يحاسبهم يوم الحساب.

وقد جاءت الآيات الكثيرة في ذكر الحساب، وهول يوم الحساب، وفي مدح الذين يَستعدُّوْن ليوم الحساب ويخافونه، وفي ذمِّ الذين نَسُوا يوم الحساب، ولم يَخْشَوا الحساب.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ أي: يخافون المناقشة في الحساب على النقير والقِطمير، والشيء الكبير والحقير ـ وفي هذا مدح للواصلين ما أمر الله أن يوصل: فيما بينهم وبين ربهم، وبينهم وبين رسولهم صلى الله عليه وآله وسلم، وبينهم وبين سائر عباد الله تعالى.

فهم الواصلون، وهم أهل الخشية بالغيب، وهم يخافون سوء الحساب، مع أنهم على قدم في التقوى، ودرجة كبيرة في العمل الصالح والإخلاص ـ وهو شأن الواصلين المقربين.

ألحقنا الله تعالى بهم ـ آمين.

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ وفي هذا تحذير من نسيان يوم الحساب، ووعيد لمن نسيه.

وقد بين سبحانه أَنَّ محاسبته لعباده سَوف تأتي على جميع الأعمال: العلانية والسِّرِيَّة، والجسمية والقلبية، والبادية الظاهرة والنفسية الخفية.

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فهو سبحانه الذي له السموات والأرض وما فيهن مِلكاً ومُلكاً، فذواتها وأعيانها مملوكة له وحده، وهو الملك المطلق المتصرف فيها كما يشاء بمقتضى حكمته، فهو الفعال لما يريد، والكل له عبيد، وهو الذي يقضي ويحكم، ولا معقِّب لحكمه، ولا راد لأمره جلّ وعلا، بل هو الغالب على أمره ـ أي: هو الغالب على تنفيذ أمره، وإمضاء حكمه، ولا مانع له ولا معقب.

وهو الذي يَعلم السرَّ وأخفى، ويعلم ما يُسرون وما يعلنون، وما يُبدون وما يُخفون من خفايا نفوسهم وخبايا قلوبهم، وسوف يحاسبهم على جميع ذلك، فَلْيَخافوا وليخشَوْا الحساب عند رب الأرباب.

ثم بعد الحساب: يَغفر لمن يشاء، وهم الذين فيهم أهلية لأن يتفضل عليهم بالمغفرة، ويُعذب من يشاء وهم الذين ليسوا أهلاً للتفضل بالغفران، وذلك عائد لعلمه وحكمته، فإنَّه هو العليم الحكيم وهو على كل شيء قدير ـ ومِن ذلك قدرته على المغفرة لهذا والتعذيب لهذا، لا يُعجزه شيء من ذلك.

فالأعمال القلبية من الحبِّ والبغض، والحسد والحِقْد، والنيات

الحسنة والسيئة، والهمم والعزائم القلبية في الخير والشر، كل أولئك يُحاسَب به العبدُ يوم القيامة، فيؤجَر على خيرها، ويعاقَب على شرها ـ ما لم تشمله المغفرة بأسباب يعلمها الله تعالى.

ويدل على أَنّ أعمال القلوب يُحاسَب بها العبد يوم القيامة في الخير والشر: ما رواه الترمذي، والإمام أحمد، عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه، أَنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاثة أُقسم عليهنَّ، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه:

ما نقص مال من صدقة، وما ظُلم عبد مظلمة فصبر عليها إلاّ زاده الله بها عِزّاً، وما تواضع عبد لله إلا رفعه الله تعالى».

قال: «وأحدثكم حديثاً فاحفظوه: إنما الدنيا لأربعة نفرٍ:

رجل آتاه الله مالاً وعلماً، فهو يتقي في ماله ربَّه، ويَصِل فيه رحمَه، ويعلم أن لله فيه حقاً ـ فهو في أعلى المنازل.

ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً، يقول: لو أَنّ لي مثل فلان ـ أي: العالم صاحب المال ـ لعملتُ مثله ـ فهو بنيته وأجرهما سواء.

ورجل آتاه مالاً ولم يُؤته علماً، فهو يخبط في ماله: لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه ـ فهذا في أخبث المنازل.

ورجل لم يؤته مالاً ولا علماً يقول: لو أَنَّ لي مثل فلان ـ أي: صاحب المال الشقي ـ لعملت مثله» ـ أي: من ارتكاب الشهوات المحرمة، وأنواع الفسق ـ.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فهو بنيته ووزرهما سواء».

فالنيات القلبية لها اعتبارها في الحساب، والثواب والعقاب،

وكذلك الهِمَم كما في: (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بَيَّن ذلك: فمَن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة كاملة، وإنْ هَمَّ بها فعملها كُتِبَتْ له عشر حسنات، إلى سبعمائة، إلى أضعاف كثيرة.

وإن همَّ بسيئة فلم يعملها ـ أي: خوفاً من الله تعالى كما في رواية: «وإن تركها من أجلي» ـ كُتبت له حسنة كاملة، وإنْ همَّ بها فعملها كتبت له سيئة واحدة».

وكذلك الإرادات العازمة، فإنَّ الإنسان يُحاسب عليها:

روى الشيخان، عن الأحنف بن قيس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما: فالقاتل والمقتول في النار».

قيل: يا رسول الله هذا القاتلُ، فما بال المقتول؟

قال: «إنه أراد قتل صاحبه» أي: ولكن سُبق عليه فلم يُحقِّق إرادته.

وفي رواية: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه» أي: فبسبب حرصه على قتل صاحبه كان من أهل النار.

ولا شك أَنَّ الحرص من جملة أعمال القلوب، فالحرص القوي على الشيء يُدين صاحبه يوم القيامة، وكذا الإرادة.

وهكذا الحبُّ والبغض: فإن العبد يُحاسب عليهما يوم القيامة، فإن كان سبب الحبِّ والبغض ومتعلَّقهما مما أمره الشارع به ورضيه ففيه الثواب؛ كمحبة المؤمنين وبُغض الكافرين ونحو ذلك.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحبَّ لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله: فقد استكمل الإيمان» رواه أبو داود.

وإن كان سببهما ومتعلَّقهما غير شرعي ففيهما العقاب.

وأما الوساوس والخواطر السريعة، وحديث النفس السيىء الذي لم يوطِّن الإنسانُ نفسَه عليه، ولم يَهِمَّ به، ولم يَعزم صاحبه على إظهاره إلى الوجود، بل يَكرهه ويَدْفعه عن نفسه فلا يندفع: فقد نص العلماء على أنه معفو عنه بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وفي: (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدَّثت به أنفسَها: ما لم يعملوا به أو يتكلموا به».

وفي رواية: «ما وسوستْ به صدورها».

وفي: (صحيح) مسلم، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: (يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأَنْ يَحترقَ حتى يصير حُمَمَةً، أو يخرَّ من السماء إلى الأرض: أحبّ إليه من أن يتكلم به).

ولمسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم سألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به.

قال: «أَوَقَد وجدتموه»؟

قالوا: نعم.

قال: «ذلك صريح الإيمان» ورواه أبو داود.

وفي رواية: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الحمد لله الذي رَدَّ كيده إلى الوسوسة».

فما يَمرُّ على القلب من خواطر رديئة، وما يعتري الإنسان من وساوس سيئة: وهو ينكرها ولا يرتضيها، فهو غير مؤاخذ عليها، بل إن إنكاره لها؛ وتأذِّيه منها وألم نفسه بسببها؛ في هذا دليل على محض إيمانه وصراحته، وأَنَّ قلبه عامر بالإيمان.

إذ لو كان قلبه غير حيٍّ بالإيمان لاستسلم لتلك الوساوس السيئة، وانشرح صدره لها، ولم يضق بها ذرعاً.

وعلى كل حال فتلك الوساوس التي تعتري المؤمن هي عارضة، وقد تمرُّ على بعض الناس ولكنها زائلة عما قريب، فلا ينبغي أن يَلتفت إليها، بل يلجأ إلى الله تعالى، ويطرح ما هنالك وراء ظهره، ويتعوذ بالله العظيم ـ فإنها لا تضره.

هذا ـ وإن يوم الحساب شأنه كبير، وأمره خطير، إلاَّ على مَن تغمَّده الله بغفرانه ورضوانه.

قال تعالى مُخبراً عن دعاء الخليل عليه السلام لينبه العباد إلى هول موقف الحساب: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ اللهم آمين.

* * *

أول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال

أولُ ما يحاسب عليه العبد من الأعمال المتعلقة بِحقوق الله تعالى: الصلاة.

قال الإمام الترمذي في: (سننه): باب ما جاء أَن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة:

ثم أسند إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن أول ما يحاسَب عليه العبد يوم القيامة من عمله: الصلاةُ؛ فإن صلحتْ فقد أفلح وأنجح، وإن فسدتْ فقد خاب وخسر.

وإن انتقص من فريضته شيئاً قال: الرب عز وجل للملائكة: انظروا هل لعبدي من تطوّع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك».

وأول ما يحاسَب عليه العبد من الأعمال المتعلقة بحقوق العباد: الدماء:

فقد روى البخاري بسنده، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أول ما يُقضى بين الناس بالدماء».